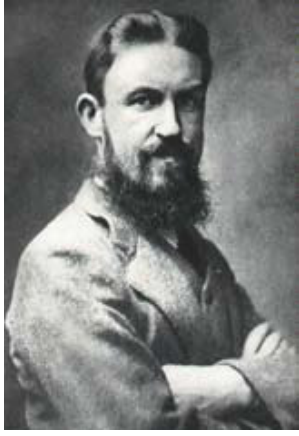


ماذا يقول جورج برناردشو عن النبي محمد ﷺ



ديناً صافياً جداً وقويًا، نجح أن يبقى دولة.. وكل هذه الأمور الثلاثة التي قام بها محمد، كانت تشكل وحدة واحدة، والدين هو الذي حافظ على وحدتها على مر التاريخ).

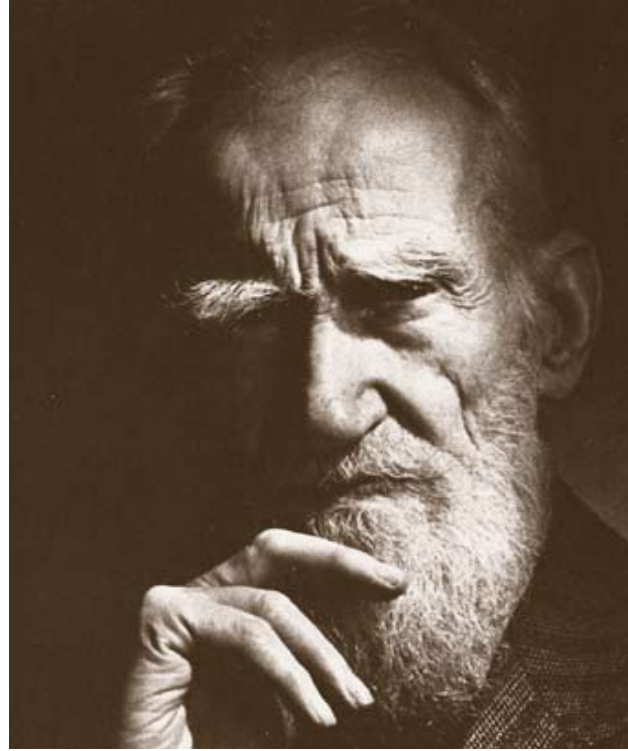
وقد أكد شو أنه فهم روح الإسلام وأمكنه أن يكتشف القيمة الأساسية في الإسلام، وهي الدعوة إلى المساواة. ويبدو أن هذه الدعوة كانت نقطة الجذب الأساسية بالنسبة للأدباء في السنوات الأولى للقرن العشرين.

وتخيلوا أن كل تلك العجائب التي لا تكاد تصدق حصلت في عقدين ونيّف من الزمن. لقد سبق كل الناس، بأنه كان الإنسان الأكثر تميّزاً من بين كل من مشوا بأرجلهم على هذه الأرض. لقد هدى إلى تعليم دين، وأسس دولة، وبنى أمة، وأرسى أسس قانون أخلاقي، ولقّن مبادئ إصلاحات اجتماعية وسياسية عديدة، وأسس مجتمعاً قوياً وديناميكياً ليمارس تعليمه وليدعو إليها، ولقد غيّر بشكل كامل وتوريّ كل عوالم الفكر والسلوك الإنساني لكل الأزمنة الآتية بعده.

محمد ﷺ خلال الفترة القصيرة لنبوته والتي كانت ثلاثة وعشرين عاماً، قد نقل جزيرة العرب بكاملها من الشرك وعبادة الأصنام إلى عبادة الإله الواحد، ومن المعارك والحروب بين القبائل إلى الوحدة الوطنية والتماسك، من السُّكر والفسوق إلى الصحو والتقوى، ومن انعدام القانون ومن الفوضى إلى الحياة المنظمة، ومن الإفلاس الكامل إلى أعلى معايير التميّز الأخلاقي. إن التاريخ البشري لم يعرف أبداً مثل هذه النقلة والتحول الكامل لشعب أو لمكان قبل ذلك أو بعد ذلك.

لقد بدأت أوروبا تُعجب كثيراً بعقيدة محمد ﷺ. وفي القرن القادم، قد تتقدم أكثر، فتعترف بفائدة تلك العقيدة في حل مشكلاتها). ولقد أكد في مقدمة مسرحيته (الإنسان والسلاح) أن الإسلام هو دين المستقبل. وأيضاً في مسرحيته (رجل القدر)، يقارن بين طموحات نابليون في السلطة، والتسامح الذي أبداه المسلمون تجاه الآخرين.

(لقد درست محمداً ﷺ فوجدته رجلاً مدهشاً، ولقد وجدت أنه بعيد عن كونه خصماً للمسيح، بل يجب أن ندعوه منقذ الإنسانية. ولقد بدأت أوروبا في أيامنا هذه بفهم عقيدة التوحيد، وقد ينطوي الأمر على ما هو أكثر من ذلك، بأن تعترف بقدرة تلك العقيدة على حل مشكلاتها بطريقة تؤدي للسلام والسعادة، بحيث أنه من خلال جوهر ذلك، يمكنك أن تفهم نبوتاً، وإذا حكمنا على العظمة من خلال قياس تأثير ذلك العظيم على الناس، فينبغي علينا أن نقول إن محمداً ﷺ هو أعظم العظماء في التاريخ، فلقد وضع حداً للعنصرية والأساطير، وأسس، رغم وجود اليهودية والنصرانية ودين بلاده،



أنه يمتلك القدرة على استيعاب الجانب المتغير من الوجود مما يمكن أن يجعله مناسباً لكل عصر). وهكذا عبر شو عن تقديره العظيم لشخصية النبي ﷺ: (أنا أعتقد أنه لو تمكّن رجل مثله أن يحكم العالم المعاصر حكماً مطلقاً، فهو سينجح في حل المشكلات بطريقة ستحقق السلام والسعادة للذين نحتاجهما كثيراً.

بقلم د. بشير أبو القرايا
باحث في العلوم السياسية ومدير القرية الإلكترونية للأبحاث والدراسات
أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

هو الكاتب الأيرلندي الحائز على جائزة نوبل، جورج برنارد شو (١٨٦٥ - ١٩٥٠)، مؤلف أكثر من خمسين مسرحية، الذي رفض المواضيع الفكتورية الرومانسية التي كانت سائدة في زمانه، وسعى لإحداث إصلاح اجتماعي من خلال تصويره الدرامي لعيوب زمانه. ولقد أصبح شو، بدعابته الواخزة وذكائه المتألق، أبرز كاتب دراما بعد شكسبير، فهو ككاتب مسرحي غزير الإنتاج، كان أكثر كتاب المسرحيات لغة لاذعة، وأكثر النقاد الموسيقيين قراء، وأفضل نقاد المسرح في جيله. وهو كان أيضاً كاتباً للرسائل لا يعرف الكلل، وناقداً اجتماعياً ينتقد بشدة قوة المؤسسة الاجتماعية.

ولقد كتب شو في ١٩٣٦ (في الإسلام الحقيقي) قائلاً: (لقد كنت دائماً أقيم دين محمد ﷺ تقييماً عالياً نظراً لحيويته المدهشة. إنه الدين الوحيد الذي يبدو لي

ما قاله ألفونس لامارتين عن النبي محمد ﷺ

القصص الخرافية لأصول الآلهة وأنسابهم، كانت بحد ذاتها معجزة وأي معجزة، بحيث أنه لدى النطق بها من بين شفتي النبي، قامت بتدمير كل المعابد القديمة للأصنام، وأشعلت ثلث العالم.

ما أعظم حياته، وتأملاته، وثورته البطولية في وجه الخرافات السائدة في بلاده، وشجاعته في تحدي غضب عباد الأصنام، وثباته على تحملهم لخمسة عشر عاماً في مكة، وقبوله بتحمل سطوة السخرية العلنية منه، بل كاد تقريباً أن يصبح ضحية لأبناء بلده، هذه العقيدة كانت مضاعفة، تنطوي على وحدانية الله وعدم مادية الله. الأولى تخبر ما هو الله (سبحانه)، والثانية تخبر عن ما لا يصح في حق الله؛ واحدة تطيح بالآلهة المزيفة بحد السيف، والأخرى ترسخ الفكرة بواسطة الكلمات.

إنه الفيلسوف، الخطيب، رائد الإصلاح الأخلاقي، واضع التشريعات، المتغلب على الأفكار، الذي أعاد إقرار الأفكار العقلانية مؤسس عشرين امبراطورية أرضية، وامبراطورية واحدة روحية، إنه محمد ﷺ. ووفق كل المقاييس التي يمكن قياس عظمة الإنسان بها، يمكننا أن نتساءل بكل قوة: هل هناك أي رجل أعظم من هذا الرجل؟

المذهلة، هي المعايير الثلاثة للعبقرية الإنسانية، فمن يستطيع مقارنة أي رجل عظيم في التاريخ، مع محمد ﷺ؟

فأكثر الرجال شهرة أوجدوا أسلحة، أو قوانين، أو امبراطوريات فقط. وإن كانوا أوجدوا شيئاً، فهم لم يوجدوا أكثر من قوى غالباً ما كانت تتفتت أمام عيونهم. أما هذا الرجل فهو لم يحرك الجيوش، والتشريعات، والامبراطوريات، والشعوب، والسلالات الحاكمة فقط، بل ملايين الرجال في ثلث العالم المسكون في ذلك الوقت؛ وعلاوة على ذلك، فقد حرك المذبح في كل المعابد، والآلهة (المزعومة)، والأديان، والأفكار، والاعتقادات والأرواح.

وعلى أساس كتاب مقدس، صار كل حرف فيه قانوناً، أوجد جنسية (انتماء) روحياً يصهر كل الشعوب من كل لسان وعرق. لقد ترك للناس الخصيصة التي لا

تمحى للجنسية الإسلامية وهي كره الآلهة المزيفة، والحب الشديد للإله الواحد غير المادي. هذه الروح الوطنية التي انتقمت من التجديف على السماء، شكلت فضيلة أتباع محمد ﷺ. فتح ثلث العالم كان معجزته؛ أو على الأرجح، هذه لم تكن معجزة الإنسان بل معجزة العقل. إن فكرة وحدانية الله سبحانه وتعالى، التي نودي بها في وسط يسود فيه تعاطي

من ذا الذي يجرو على مقارنة أي رجل من التاريخ بالنبي محمد ﷺ؟! ومن أعظم منه؟ بالنظر إلى كل المعايير التي تقاس بها عظمة الرجال. إن سلوكه في أوقات تحقيقه للأمجاد، وطموحاته لنشر الرسالة، وصلواته التي كانت تأخذ وقتاً طويلاً، ومحاوراته السامية، كلها دليل على إيمانه الكامل الذي أعانته على ترسيخ مبادئ رسالته. إن الرسول، المشروع، الفاتح، المصحح للاعتقادات، والرجل الذي أسس عبادات لا تعتمد على الرسومات والصور، هو محمد ﷺ. لقد قضى على كل الاعتقادات التي تبني فكرة وسيط بين الخالق ومخلوقاته). وفي تاريخ المسلمين (١٨٥٤) أكد لامارتين أن محمداً ﷺ لم يكن يملك أي أدوات ليحصل على هذه الأفكار أو يقوم بتنفيذ هذا المخطط العظيم ماعدا نفسه، ولم يحصل على أي مساعدة من أحد من البشر، ما عدا حفنة من الرجال يعيشون في زاوية من الصحراء.

وأبداء، لم يحقق أي رجل مثل هذه الثورة الضخمة والباقية في العالم، لأن الإسلام وفي أقل من قرنين من ظهوره، حكم بإيمانه وبسلاحه كل الجزيرة العربية، وفتح باسم الله معظم البلدان.

ويتساءل لامارتين: إذا كانت عظمة الهدف، وضالة الوسيلة، ثم النتائج



شخصية محمد الغيرية هي القادرة على تحقيق مثل هذه الكماليات التي لا يكاد يتصورها العقل في شخص واحد.

لقد قال لامارتين: (الحادثة المؤثرة في حياتي كلها هي أنني درست حياة النبي محمد ﷺ، وأدركت عظمتها وخلودها.

دينياً، ومصلاً اجتماعياً، ومرشداً أخلاقياً، ومخططاً إدارياً بارعاً، وصديقاً وقيماً، ورفيق درب رائعاً، وزوجاً مخلصاً، وأباً محباً - اجتمعت كل هذه الخصال في شخص. ولم يتفوق أي رجل آخر في التاريخ عليه، أو يدانيه في أي من هذه الوجوه المختلفة للحياة - بل كانت فقط

الشاعر الفرنسي ألفونس لامارتين (١٧٩٠ - ١٨٦٩) هو رجل أديب ورجل دولة، وكان قائداً للحركة الرومانسية. وهو في الأصل يدين بشهرته لشعره، الذي يمتاز بالعواطف الرومانسية التي يتم التعبير عنها بتناسق، ورقعة قصائد الشعر الغنائي العاطفية، مع جو من السوداوية اللطيفة، وأوصاف مؤثرة للمناظر الريفية، ليكون كل ذلك انعكاساً لمزاج الشاعر. وأكثر دواوين شعره شعبية وتأثيراً هي شاعر فرنسي (١٨٢٠)، وله دواوين آخر مثل، تأملات شعرية جديدة (١٨٢٣)، انسجامات دينية وشعرية (١٨٣٠)، جوسلين (١٨٣٦) و تفكرات (١٨٣٩). ولقد كان أيضاً كاتب نثر، وسير ذاتية، ونقد، وأعمال تاريخية، غزير الإنتاج.

ولقد فهم لامارتين أن محمداً ﷺ قد أنجز الكثير، في عدد وافر من الحقول المختلفة للفكر والسلوك الإنساني، على مدى التاريخ الإنساني كله. فكل تفصيل من تفاصيل حياته الخاصة ﷺ وكل قول من أقواله على الملأ قد تم توثيقه بدقة وحفظه بصدق حتى يومنا هذا. وصحة هذا السجل الذي تم حفظه بهذا الشكل، لم يصرح بها أتباعه المخلصون فحسب، بل حتى نقاده المحجفون. محمد ﷺ كان معلماً